مجلة البحوث الأكاديمية (العلوم الإنسانية)، العدد 29، المجلد 1، 2025 "135-145"

الكاثوليكية النشأة والتطور العقائدي

وليد عبد السيد سرار [1]
كلية الآداب، جامعة مصراتة، قسم التاريخ، دولة ليبيا

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة لمذهب الكاثوليكية والذي يعد أحد أقدم المذاهب المسيحية وأكثرها تأثيرًا في التاريخ الديني والسياسي للمسيحية والعالم الغربي. انطلقت الكاثوليكية من رحم المسيحية الأولى في فلسطين، وتشكلت تدريجيًا على مدار القرون الأولى من خلال تفاعل معقد بين النصوص الدينية، والفكر الفلسفي اليوناني، والمواقف السياسية داخل الإمبراطورية الرومانية. يناقش البحث الظروف التي نشأ من خلالها مصطلح "كاثوليك" والذي يعني "الشامل" أو "العام"، ويبيّن كيف تبنّت كنيسة روما هذا الوصف لتمييز نفسها عن الجماعات المسيحية الأخرى، وصولاً إلى فرض نفسها كممثّل رسمي للعقيدة المسيحية الصحيحة. كما يتعرض الباحث للمراحل الفكرية واللاهوتية التي ساهمت في تبلور العقيدة الكاثوليكية، من خلال التصدي للبدع والهرطقات اللاهوتية مثل الغنوصية، والمرقيونية، والآريوسية، وهي أفكار ظهرت خلال القرون الثلاثة الأولى وأثرت في فهم المسيح وطبيعته. وقد استعرض البحث كذلك دور المجامع الكنسية الكبرى، مثل مجمع نيقية (325م) ومجمع خلقيدونية (451م)، في صياغة مفاهيم محورية مثل ألوهية المسيح، وشهادة الإيمان، ووحدة الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخصه. كما خُتم البحث بتناول الأسرار السبعة التي تعد جزءًا جوهريًا من العقيدة الكاثوليكية، وتمثل مراحل ارتباط المؤمن بالمسيح منذ الولادة حتى الوفاة. يبرهن البحث أن الكاثوليكية لم تنشأ فجأة، بل كانت نتاجًا لتطورات عقائدية، وتفاعلات ثقافية وفكرية، وصراعات دينية وسياسية، ما يجعلها تجربة دينية مؤسسية معقدة وغنية بالأبعاد.

استلمت الورقة بتاريخ 2025/03/22،وقبلت بتاريخ 2025/03/30 ونشرت بتاريخ 2025/04/02

الكلمات المفتاحية:
(الكاثوليكية، المجامع لكنسية، العقيدة المسيحية، الهرطقات، الأسرار السبعة مجمع نيقية، ألوهية المسيح، الكنيسة الرومانية، التاريخ اللاهوتي، الفكر الديني الغربي)

1. المقدمة

الكاثوليكية هي أحد المذاهب الرئيسية في الديانة المسيحية، وتمثل الامتداد المؤسسي للعقيدة التي تبنتها كنيسة روما منذ القرون الأولى للميلاد، والتي ما لبثت أن أصبحت المرجع الديني الأعلى في الغرب المسيحي. يعود أصل كلمة "كاثوليكية" إلى المصطلح اليوناني "كاثوليكوس (Katholikos) " والذي يعني "العام" أو "الشامل"، وقد استُخدم هذا المصطلح منذ القرن الثاني الميلادي للدلالة على الكنيسة التي تمثل الإيمان الصحيح والعالمي بحسب الاعتقاد المسيحي. تشكلت الكاثوليكية من خلال تطورات تاريخية وعقائدية طويلة ومعقدة، تخللتها مجادلات لاهوتية حادة وصراعات فكرية مع تيارات اعتُبرت لاحقاً بدعاً أو هرطقات، مثل الغنوصية والمرقيونية، ثم الأريوسية. وقد أسهمت تلك التحديات في دفع الكنيسة إلى بلورة تصور موحد للعقيدة المسيحية، تم تثبيته من خلال المجامع الكنسية الكبرى مثل مجمع نيقية (325م) وخلقيدونية (451م)، واللذين صدرا عنهما بيانات إيمان أساسية لا تزال معتمدة في الكنيسة الكاثوليكية حتى اليوم. تؤمن الكاثوليكية بجملة من المبادئ والعقائد، أبرزها الإيمان بالثالوث الأقدس، وتجسد المسيح وألوهيته، والاعتراف بالكتاب المقدس إلى جانب التقليد الكنسي، وولاية البابا كأساس للسلطة الروحية العليا في الكنيسة. كما تحتفظ الكنيسة الكاثوليكية بنظام الأسرار السبعة، والتي يُنظر إليها كوسائل للنعمة الإلهية، وتشمل المعمودية، والتناول، والتوبة، وغيرها. وتُعد الكاثوليكية اليوم أكبر طائفة مسيحية من حيث عدد الأتباع، ولها تأثير ديني وثقافي وحضاري ممتد في مختلف أنحاء العالم.

1.1 أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على واحدة من أكثر العقائد تأثيراً في تاريخ الفكر الديني المسيحي، ويكشف الجوانب التاريخية والفكرية واللاهوتية التي شكلت عقيدة الكاثوليكية، والتي لا تزال تلعب دوراً مركزياً في تشكيل العلاقات بين الأديان والمذاهب داخل المسيحية، وبين الكنيسة والعالم الخارجي على حد سواء.

w.srar@art.misuratau.edu.ly

2.1 أهداف الدراسة:

ويهدف هذا البحث إلى دراسة نشأة الكاثوليكية وتطورها العقائدي، من خلال تتبع الخلفيات التاريخية والثقافية التي ساهمت في بروزها، وتحليل السياقات اللاهوتية التي رسمت ملامحها، وتحديد دور المجامع الكنسية الكبرى في صياغة مفاهيمها الجوهرية، مثل ألوهية المسيح، والثالوث، وشهادة الإيمان، والأسرار السبعة.

3.1 إشكالية الدراسة:

تتجلى إشكالية البحث في العوامل التي ظهر معها المذهب الكاثوليكي وكيفية تشكّل عقيدته وتطورها، بوصفه مذهباً مميزاً داخل الديانة المسيحية؟ وما هو الفكر الديني والسياسي الذي ساعد على تبلوره واستمراره؟

4.1 فرضية البحث:

يفترض الباحث: أن عقيدة الكاثوليكية لم تكن وليدة النصوص الإنجيلية فقط، وإنما تشكلت نتيجة تفاعل معقد بين اللاهوت، والسياسة، والفلسفة اليونانية، ومجموعة من ردود الأفعال ضد ما عُدّ "بدعاً" أو "هرطقات" في المسيحية الأولى.

5.1 الإطار الزماني والمكاني:

يغطي هذا البحث الفترة الممتدة من القرن الأول الميلادي، وهي الحقبة التي شهدت ولادة المسيحية، إلى القرن الخامس الميلادي الذي اكتمل فيه البناء اللاهوتي الرسمي للكاثوليكية بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م. ويتركز الإطار المكاني للبحث على المناطق التي شهدت التأسيس الأولي للمسيحية والكاثوليكية، وهي فلسطين، وآسيا الصغرى، ومصر، وروما، ثم امتدادها إلى غرب أوروبا.

6.1 منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي، في رصد تطور العقيدة الكاثوليكية من خلال دراسة النصوص الدينية، وقرارات المجامع الكنسية، وآراء الآباء الأوائل، وتحليلها كل ما أمكن ذلك للوصول إلى نتائج علمية.

2. الإطار التاريخي:

ظهرت المسيحية في الشرق الأدنى وتحديداً في مدينة بيت لحم بفلسطين، وهي ديانة سماوية عرفت بهذا الاسم نسبة إلى نبي الله (المسيح)(1) عيسى بن مريم عليهما السلام، وولد هذا النبي في عهد الامبراطور الروماني – إذ كانت فلسطين والشـام كله تابعة للإمبراطورية الرومانية الغربية في تلك الفترة – أغسـطس المتوفى عام 14م(عاشـور، 1982م، ص 30)

لقد تعرضت هذه الديانة إلى معارضة كبيرة وشديدة من الدولة الرومانية(2)، وأيضاً من أنصار الديانات الأخرى(3)، ولكن المسـيحية خرجت من هذا الصـراع – كما زادها قوة وانتشـاراً – الذي دام طويلاً منذ نزولها وحتى سـنة 313م، منتصرة وظافرة. (4)، وانتشرت كنائسها في كل سواحل البحر المتوسط خاصة عندما اعترفت بها الإمبراطورية الرومانية (العريني، 1968م، ص 50).

---

(1) سمي السيد المسيح بذلك لأنه كان يعالج الناس ويداويهم، وذلك بالمسح بيده على الجزء المصاب فيبرى العليل ويشفى من مرضه، أو لأنه، مسح الأرض، أي ساح فيها فاراً بدينه من الفتن، وذلك لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه – عليهما السلام – أو سمي بالمسيح لأنه كان ممسوح القدمين. انظر، (ابن كثير، 2003م، ص400)

(2) كانت أشد عصور المعارضة والاضطهاد من الدولة المسيحية في أيام الأباطرة: نيرون 64-98م، وتراجان 98-117م، ودقلديانوس 284-305م، وغيرهم ولكن بشكل أقل. وكان ذلك بسبب ما تدعو إليه المسيحية من عبادة الرب الواحد، والمساواة بين أفراد المجمع، وهو ما تعارض مع سياسة الدولة أو الامبراطورية الرومانية وعبادتها الرسمية وهي تقديس الأباطرة الرومان. انظر، (الربيعي، 2002م، ص21؛ يوسف، 2005م، ص22؛ عمران، 1986م، ص35؛ كولتون، 1983م، ص ص44 -47).

(3) لقد كانت أكبر معارضـة للمسـيحية من الديانات الأخرى الموجودة في الامبراطورية، من اليهود الذين خافوا على مكانتهم، ولأن المسـيحية أظهرت انحراف اليهود عن دينهم وتعاليمه السماوية، هذا مع معارضة الديانات الوثنية الشديدة أيضاً لهذا الدين، وخاصة إذا علمنا أن أغلب سكان الامبراطورية وثنيون في تلك الفترة، وآلهتهم كانت متنوعة مثل الآلهة اليونانية والرومانية القديمة مثل: فسـتا ولارا إلهي النار والأسـرة، وفينوس إلهة الشـهوة والزواج، وديانا إلهة الولادة والصـيد، وهرقل إله الخير والفرح والخمر، وميركوري = = إله اللصـوص، ودميتر، وديونيسـيوس وكاسـتر وبلكس وأبللون، مع تقديس الطبيعة، والديانات القادمة من الشـرق كعبادة إيزيس، وهي إلهة مصـرية عرفت باسـم الأم الحزينة، وهي المواسية والمحبة وحاملة هبة الحياة الخالدة، وكانت لها شـعبية كبيرة، أيضـاً ديانة متراس من بلاد فارس، وهو إله ذكر، وهو مرحلة متطورة من الديانة الزرادشتية، إله النور الفارسي، وإله للحق – متراس – والطهر والشرف، وهو أحياناً الشمس، وصاحب الحرب العالمية ضد قوى الظلام والشر، ويحتفل أتباعه بمولده في آخر أيام شهر ديسمبر، وأيضاً كانت توجد ديانة سيبيل القادمة من آسيا الصغرى، وكان عبدتها يصومون في يوم عيدها، وهو في أول الربيع، ويصلون صلواتهم، ويخرج كهنتها سـواعدهم ويشـربون دماءهم، وهي أم الشـعب في روما. انظر، (ديورانت، ج1، د.ت، ص147-149، 196؛ الشيخ، 1979م، ص161-164).

(4) في سنة 313م. اعترف بالمسيحية كديانة رسمية للدولة أو الامبراطورية الرومانية، كما جاء في مرسوم ميلانو 313م، في عهد الامبراطور قسـطنطين العظيم 306-337م، فازداد بذلك انتشـار المسـيحية وزادت قوتها داخل الامبراطورية وخارجها، وأصـبحت أعداد الكنائس في ازدياد واسـع، فبذلك كان انتصـار المسـيحية الكاسـح للأديان الوثنية، وتفوقها عليها وخاصـة عندما زالت آي آثار للوثنيين من المدن الكبرى في الامبراطورية الرومانية في عهد ثيودوسيوس الأول 379-395م. انظر، (العريني، 1968م، ص48-51).

وقد اكتنف الغموض البدايات الأولى لانتشار المسيحية ومراحلها، وخاصة أيام دعوة السيد المسيح، وحياته، وحياة تلاميذه الذين أكملوا نشر الرسالة بعد صلبه بين عامي 30م أو 32م. (الغوج، 2009م، ص ص 28-33).

هذا وتجلت أفكار المسيحية وتعاليمها في كتاب مقدس سماوي عرف باسم (الإنجيل) أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى، حيث يقول – عز وجل – في كتابه العزيز: "وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين"(*).

وهو ما يعني أن الإنجيل فيه الهدى والنور وقول الحق، ويهيب من بني إسرائيل اليهود الرجوع إلى عبادة الله وحده، وهو جاء متمماً لتوراة موسى – عليه السلام –، ولكن هذا الإنجيل الأصيل المذكور في القرآن الكريم فُقد وليس له وجود بين كتب المسيحية التي تُعد مقدسة؛ لأنه تُرك وهجره الناس على مر الزمان، وترتب على ذلك ضياعه ونسيانه، وبدون هذا الإنجيل فالمسيحيون في ضلال، وليسوا من شريعة ربهم من شيء (الغوج، 2009م، ص33)، حيث يقول رب العاملين: "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم..."(*).

أي أنهم انحرفوا عن مسار دينهم المسيحي، وابتعدوا عنه في حياتهم، وهو ما جعل تلامذة المسيح وغيرهم من رجال هذا الدين – وخاصة الأوائل من الرسل – القيام بتأليف وكتابة وتجميع الكثير من الأناجيل بشكل قصصي من روايات شفوية وعلى هيئة نصائح وإرشادات وتوجيهات السيد المسيح التي أوصى بها وعلمها لحوارييه وتلاميذه (حميد، 1999م، ص 459-460).

لقد كتبت أناجيل عدة، والتي زادت عن مائة إنجيل، فكان منها – في نظر رجال الكنيسة (5) المسيحيون – ما هو غير شرعي أو غير قانوني مثل: أناجيل النصارى، وأناجيل العبرانيين والمصريين، وإنجيل توما، وإنجيل برنابا، ولم تعتمد هذه الأناجيل ولم يعترف بها؛ لأنها – في نظرهم – تعرضت للتحريف والتكرار والتناقض والزيادة والنقصان (حميد، 1999م، ص 459)

أما بالنسبة للأناجيل المشروعة والقانونية فهي التي أقرتها المجامع الكنسية وذوي السلطان فيها، لأنها حسب ظنهم صادقة وصحيحة وتحتوي على شهادات الرسل الذين أُمروا بنشر تعاليم هذه الديانة من قِبل السيد المسيح (العريني، 1968م، ص ص 50-53؛ حميد، 1999م، ص 459-460)، وهذه الأناجيل هي:

- إنجيل متى:

متى اسم عبري أصله (مثتياه) ويعني عطية يهوى، وهو رجل يهودي كتب إنجيله بالعبرية أو الآرامية في أورشليم (القدس) ثم تُرجم إلى اليونانية بين عامي 60-65م

يقع هذا الإنجيل في ثمانية وعشرين إصحاحاً، وهو صاحب المكانة الأولى عند المسيحيين، ويعتبر امتداداً للتوراة ومصححاً لها، وهو أقدم الأناجيل، حيث يُعتقد أنه كتب في سنة 39م، أو قبل وفاة صاحبه سنة 70م (حميد، 1999م، ص ص 460-463).

- إنجيل مرقس:

مرقس هذا تلميذ لبطرس الحواري وهو أحد تلامذة السيد المسيح، وكتابه هذا يعتبر أقصر الأناجيل الأربعة، ويقع في ستة عشر إصحاحاً، وكتب باللغة اليونانية، ولكنه ليس ذا شعبية كبيرة بين المسيحيين؛ لأنه أنكر ألوهية المسيح، ولقد كان مرقس يبشر بدينه في مصر حتى مات سنة 68م على أيدي الوثنيين (آل عمر، 2007م، ص ص 23-28).

- إنجيل لوقا:

كان لوقا أول حياته وثنياً ثم آمن بالمسيحية، وكان طبيباً ناجحاً، وهو من أهل أنطاكية – بالشام – ويقال أنه إيطالياً، ولم ير المسيح، وتعلم النصرانية وتعصب للمسيحية وتنصَّر، وكتب إنجليه في حوالي سنة 60م، أو بعد ذلك بقليل، وهو كتاب يتكون من أربعة وعشرين إصحاحاً، وكتب باليونانية، وبأسلوب راقٍ، وبشكل أدبي (حميد، 1999م، ص 464).

- إنجيل يوحنا:

يوحنا هو رجل يهودي يعرف بيوحنا بن زبيدي الصياد، وهو أحد الحواريين من تلامذة المسيح – عليه السلام – ، وولد في بيت صيدا بالشام، وأمه (سالومة) وكانت فاضلة نقية، وكان السيد المسيح يحب يوحنا هذا كثيراً، حتى سماه (التلميذ الحبيب)، وهذا ما يدل على مكانته عنده (آل عمر، 2007م، ص ص 28-33).

(*) سورة المائدة، آية: 46.

(*) سورة المائدة، آية: 68.

(5) الكنيسة: هي مكان العبادة عند المسيحيين، وهي مركزهم الديني، ومصدر تشريعهم الروحي، ويتولى رئاستها البابا ويتبعه الأساقفة والرهبان في كافة أنحاء العالم، وتعود للكنيسة ورجالها كافة الشؤون الروحية والدنيوية. انظر، فوزي محمد حميد، المرجع نفسه، ص466-468؛ وكنيسة: هي كلمة ذات أصول يونانية تعرف بـــ(إيكيزيا) (Ecclesia) ومنها صارت بالإنجليزية كنيسة (Church)، ولقد استخدمت لأول مرة في مدينة أورشليم (القدس) للدلالة على المجتمع المسيحي بفلسطين. انظر، (الغوج، ا2009م، ص30).

ويتألف إنجيل يوحنا من واحد وعشرين إصحاحاً، وهو يختلف عن الأناجيل الثلاثة السابقة، حيث تميز بذكر بعض الأحداث التي لم ترد فيها، رغم أنه كتب بعدها بفترة من الزمن، وجاء متمماً لها ولتعاليمها، وذكرت فيه ألوهية المسيح، ومات يوحنا سنة 98م(حميد، 1999م، ص 465-466).

ولعله من الواجب التساؤل عن سبب اعتماد المسيحيين لهذه الأناجيل الأربعة دون غيرها؟

هذا لأنها طابقت أهواء رجال الدين المسيحيين في الكنيسة، وخدمت مصالحهم، حيث أرادوا التسويق لأفكارهم وتعاليمهم التي تناسب أهدافهم في التفوق على الأديان الأخرى، والترويج لألوهية المسيح – عليه السلام – وهم بذلك انحرفوا عن مبادئ ديانتهم الأصلية وتعاليمها التي جاءت في بعض الأناجيل المحرمة عندهم.

وقد كانت توجد مع هذه الأناجيل المرخصة من الكنيسة المسيحية بعض أعمال الرسل مثل: رسائل بولس، ورسالة يعقوب، ورسائل بطرس الرسول، ورسائل يوحنا الرسول، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي (آل عمر، 2007م، ص ص 31-35)، وهي مشروعة في الكنيسة ويرجع لها في إتمام العقيدة المسيحية، والتي تبلورت عبر هذه الكتابات فقط، ودون غيرها، ونتج منها المذهب الكاثوليكي. فما هي الكاثوليكية؟ وعلى ماذا تنص عقيدتها المسيحية؟ وكيف نتجت؟ وما هي المراحل التي مرت بها حتى اعتمدت نهائياً؟ (*)

3. ظهور الكاثوليكية وتطور العقيدة:

1.3 نشأة التسمية ونموها:

لقد استخدم المدافعون الأوائل على المسيحية، والمروجون لأفكارها والساعين لنشرها على نطاق أوسع في العالم كله، استخدموا الثوب اليوناني الفلسفي (الإغريقي)؛ وذلك ليبرهنوا على أن المسيحية بإمكانها، وبنجاح، أن تلبس الثوب الفلسفي اليوناني مع جاذبيتها الدينية القوية، فكان أتباعها من الكُتّاب المسيحيين، وخاصة من أنصار المدارس الفلسفية الأفلاطونية والرواقية، يغزون حقل الفلسفة العامة، ويتكلمون عن الديانة المسيحية بوصفها شاملة حقاً بمداها وتطبيقها، وكانت الكلمة التي استخدموها هي الـ(كاثوليك Catholic) وتعني الكونية أو المسكونية أي الشاملة والعالمية (نوس، 2009م، ص 266-267).

والكاثوليكية كلمة مشتقة من المصطلح اليوناني (كاثوليكوس Katholikos) والتي تعني العالمي Universal (الغوج، 2009م، ص ص 28-31؛ عمران، 1999م، ص ص 95-98) ولعل التساؤل الذي يطرح نفسه هنا متى بدأ استخدام هذا الوصف؟ ولماذا استعمل؟ أو ما الهدف من استعماله؟ ومتى كان أول استعمال لهذا المصطلح عند المسيحيين؟

بدأ استخدام هذا الوصف (كاثوليكي) بواسطة الكتاب الكنسيين منذ القرن الثاني للميلاد، وذلك بهدف تمييز الكنيسة المسيحية بشكل عام عن المجتمعات المحلية، أو عن الطوائف الهرطقية الانفصالية – ومنها ما يلي ذكره لاحقاً –، وكان أول من استعمل مصطلح الكنيسة الكاثوليكية هو القديس اغناطيوس التوراني، وهو أحد الآباء الأوائل والرسوليين للكنيسة المسيحية، وفي خلال الثلاثة قرون اللاحقة تطور هذا المفهوم أو المصطلح كما جاء في البيان التفسيري الذي قدمه القديس كيرل (بطريرك القدس) أي (رئيس كنيسة القدس) وذكر فيه أن تسمية الكنيسة بالكاثوليكية يقوم على أربعة أسس (الغوج، 2009م، ص 32) وهي:

1- انتشارها على مستوى العالم (في جميع أنحاء العالم).
2- لعقيدتها التامة.
3- مقدرتها على التكيف لتلبية احتياجات كل أنواع البشر.
4- كما جوانبها الأخلاقية والروحية.

لكن أيّ الكنائس أو الجماعات المسيحية التي اتصفت بهذا الوصف أو المصطلح؟ وهل انفردت به كنيسة دون غيرها أو طائفة من الفرق المسيحية؟ وكيف؟

عُرفت كنيسة روما – وما يتبعها من الجماعات والكنائس المسيحية في غرب أوروبا وغيرها – بالكاثوليكية، وهي التي اتخذت هذه الصفة والتي ميزت مذهبها وشعائرها بها، فكانت كنيسة روما اللاتينية وكُنس غرب أوروبا في العصور الوسطى هي صاحبة المذهب الكاثوليكي؛ وذلك لأنها عاصمة الامبراطورية أولاً – قبل سقوطها – وثانياً لأن مؤسس كنيستها هو بطرس الحواري من تلاميذ المسيح وحوارييه، ولهذا كانت لها الزعامة، وأيضاً مع تمسكها بعقيدتها الكاثوليكية الأولى، والتي سوف تضح لنا في اللاحق من الأوراق (عاشور، 1986م، ص ص 11-18؛ عمران، 1999م، ص ص 95-98).

هذا وطرأ كثير من الاضطراب على الكاثوليكية كصفة، ويعود السبب في ذلك، إلى أن مختلف الفرق أو الطوائف المسيحية التي نُعتت من قبل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على أنها هرطقية أو انفصالية، لم تتخل تماماً عن انتسابها للكاثوليكية، وفي العصر الحديث – مثلاً – نجد ليس فقط كنيسة روما الكاثوليكية (العالمية والشاملة) ولكن حتى الكنيسة

(*) هذه التساؤلات يجرى الإجابة عنها في فصول البحث وخاصة في العناصر اللاحقة.

الأرثوذكسية (القويمة) الشرقية (في شرق أوروبا)، والكنيسة الإنجيلية، وعدداً من الكنائس المحلية (الوطنية) والطوائف الثانوية المتعددة تدعي أنها كاثوليكية، وأيضاً حتى الكنائس البروتستانتية الرئيسية تدعي بأنها جزء من الكنيسة المسيحية الكاثوليكية (العالمية).(الغوج، 2009، ص ص35-37؛ بيشوب، 2005م، ص9-11)

وتغلبت كنيسة روما عنها لأنها اشترطت الادعاء أو الانتماء إلى الكاثوليكية شروط بنوعية دستور وعقيدة الكنيسة، ويطابق ويتبع العقيدة الكاثوليكية التي نصت عليها المجامع الكنسية، فكيف اتخذ أو أقر المذهب الكاثوليكي؟ وما هي عقيدته؟

2.3 البدع والهرطقات الأولى:

كانت تسمية العقيدة المسيحية بالكاثوليكية في محلها حيث إنها وصلت آنذاك إلى كل ولايات الامبراطورية الرومانية وإلى كل طبقة في المجتمع، وقد أصبح هذا الوصف، في الواقع، جزءاً من المؤسسة الوحيدة المنظمة التي عبَّرت عن الديانة المسيحية بعد منتصف القرن الثاني، وبهذا الاسم تمكنت الكنيسة الكاثوليكية من أن تقف متحدة، عاقدة العزم بالمحافظة على نفسها في وجه الأعداء الخارجيين ومحاربة الرياء والانشقاق الديني في داخلها، وأظهرت الكنيسة الكاثوليكية القديمة في كفاحها للمحافظة على سلامتها الخارجية والداخلية أمرين: الأول: نظام عقيدة، موضحاً، وطاهراً، لا يحتويه الغلط، ويعلن أنه قويم. والثاني، تنظيماً كهنوتياً يتميز في نظرها بالرسولية، والشمولية، والوحدة، والقداسة، ولكن ما هي الخطوات التي (أنتجت) أو تم بها إحداث هذه التطورات في الكاثوليكية وعقيدتها؟

وجاءت العقيدة الكاثوليكية في شكلها النهائي نتيجة لعدة ظروف والتي كان أبرزها الانقسامات والبدع الهرطقية (الانفصالية) (نوس، 2009، ص 267) التي عصفت بالمسيحية من أول انتشارها وحتى بعد سيادتها كديانة أولى في أوربا ومناطق عدة من العالم، فما هي أبرز البدع والأفكار التي أثرت في شكل العقيدة الكاثوليكية وساهمت في إخراج تفاصيلها؟

عندما اتضح الأثر اليوناني الفلسفي على الديانة المسيحية، برزت العديد من الأفكار الغريبة عن هذا الدين وتعاليمه والتي منها:

3.3 البدع الغنوصية والمرقيونية:

وهي من التفسيرات التي تناولت عمل السيد المسيح وشخصه في القرن الثاني الميلادي، فالغنوصية (Gnosticism) وهي مشتقة من الكلمة (Gnosis) والتي تعني العرفان أو المعرفة الباطنية، لها عقيدة مميزة تسري في كل أنواعها: لقد ابتدأ الغنوصيون بمثنوية تفصل الروح جذرياً عن المادة، وترى العالم المادي فاحشاً ومشيناً جداً، بحيث يمكن ألا تكون لله صلة بصنعه، أي الله غير الشخصي وغير القابل للمعرفة، وأساس كل الوجود والذي يقيم في النور الصافي بصورة يعجز عنها الوصف، والتفكير. (بيشوب، 2005م، ص ص 13-16).

وتبنت الغنوصية شخص السيد المسيح بوصفه العنصر الأساسي في التركيب اليوناني – الشرقي، والله يقيم فوق العالم الشرير بمسافة بعيدة، تحيط به جماعة من الكائنات الروحية من الذكور والإناث، تسمى بالدهور، ومنها يسوع الموجود من قبل، وفي مستوى أدنى كان يعيش ويعمل خالق الأرض، ابن الدهر الساقط (صوفيا)، والتي كانت في سقوطها قد جلبت الضياء إلى الظلام الذي هو (يهوه) إله العهد القديم، وهو إله جلف الروح، أنتج كتلة الشر التي هي عالم المادة، أي أنهم يقولون: إن الله يتحكم بالكون، وأن (يهوه) إله العهد القديم كائن وضيع، وأن العهد القديم يجب أن يرفض بوصفه عديم القيمة، وأن يسوع لم يولد في الحقيقة، ولم يتعذب، ولم يمت، وليس هناك بعث للجسد، وإنما بعث للروح. (نوس، 2009، ص ص 267-269)

أما بالنسبة للمرقيونية، فهي نسبة إلى (مرقيون)، وهو مواطن إيطالي اتبع إرشاد المدارس الغنوصية في تنديدها بإله (العهد القديم) بوصفه: إلهاً متمسكاً بالشرع بقسوة وعديم الرحمة، وإن كان قد خلق العالم المادي، فقد كان ذا طبيعة أخلاقية وضيعة، إلا أن مرقيون – ومع ذلك – لم يلتحق بأي مدرسة من مدارس الغنوصية (التي ازدهرت أساساً في مصر وآسيا الصغرى)، وكان الإله الجيد – في نظره – حقاً، إله المحبة والرحمة، الذي خلق العالم الروحي غير المرئي، وغير معروف لأنبياء العهد القديم، وكان المسيح أول من كشف عنه، وإن البشر مستعيدون من الأجساد التي تلقوها من إله العهد القديم، ولكن أرواحهم قد تجد الخلاص عبر الإيمان بإله يسوع، فليتبعوا المسيح والقديس بولس – أحد تلاميذ السيد المسيح وحوارييه – في الزهد، والعزوبة، وازدراء العالم المادي، وليكافحوا من أجل الدخول في ملكوت الله الجيد. (أل عمر، 2007م، ص 35)

هذا وزاد مرقيون الذعر الذي خلفته آراؤه بمحاولته توفير كتاب مقدس لأتباعه، في عمله الذي حرره وجمع فيه كتابات بولس وإنجيل لوقا، ولكنه نقح أولاً كل المقاطع – أزالها – التي تربط يسوع بإله العهد القديم، كما انسلخ مرقيون عن كنيسة روما ونظم تجمعاً جديداً. (نوس، 2009، ص 269)

وهذا النوع من الأمور أثار العالم المسيحي للبحث في أوضاعه الأساسية، فكيف كان موقف الكنيسة من هذه الآراء أو الأفكار؟ وما هي نتائجه؟

4.3 موقف الكنيسة ونتائجه:

كان رد الكنيسة من خلال عقيدة الرسل والأسفار المعترف بها من العهد الجديد، فكان القديس إيرينايوس (وهو أحد أبناء آسيا الصغرى، وأسقف ليون في بلاد الغال – فرنسا –)، أول صوت واضح، حيث اقترح برنامجاً للتعامل مع الآراء المهرطقة، وأصدر في عام 185م كتاباً شهيراً هو (ضد البدع)، وكان ذا أهمية حاسمة، ففيه أدلى بحجة مفادها: أن العلاقة الدالة على المذهب المسيحي السليم هي اهتداؤه بالرسل، فقد كانت لدى الرسل معرفة تامة بالأناجيل، وما لا يكون متفقاً مع تعاليمهما، ومنقولاً عن الأناجيل والرسل لا يمكن أن يكون مقبولاً. (نوس، 2009، ص ص 269-270)

وعلى هذا المحك تشجب الغنوصية والمرقيونية، ورداً على الزعم القائل بأن يسوع قد بلَّغ تعليماً خاصاً وباطنياً لقلة مختارة – كما يزعم الغنوصيون – وأجاب إيرينايوس: عن مثل هذه الحكمة الخاصة، إذا كان لها أن توجد في أي وقت، فيجب أن تسلم من خلال الكنائس التي أسسها الرسل، وأشار مع ذلك إلى أنه ليست لدى كنائس المؤسسة الرسولية تقاليد كهذه. (بيشوب، 2005م، ص ص17-21).

وعلى العموم كان إيرينايوس يلح على أنه ينبغي للمرء من أجل المذهب السليم أن يمضي إلى الكتابات الرسولية، والكنائس الرسولية وأساقفتها، فكان هذا هو الرد الذي راق لكنائس الغرب، وكان سارياً على وجه الخصوص للكنيسة في روما، حيث صيغت بين سنتي 150-175م، شهادة الإيمان التي تستخدم في المعمودية للتعبير عن الإيمان، وتتجنب المذهبين الغنوصي والمرقيوني معاً، وصارت تسمى، وفقاً لمعيار أرينايوس في استقامة الرأي، عقيدة الرسل (نوس، 2009، ص 270)، وكانت تسير في شكلها المبكر كما يلي(*):

أؤمن بالله الأب **القادر على كل شي**.

وبيسوع المسيح، **ابنه المولود الوحيد**، ربنا، الذي ولد من الروح القدس، ومريم العذراء، والذي صلب ودفن في عهد يونتيوس بيلاطس، وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وأقعد على يمين الأب، حيث سيأتي ليحكم الأحياء والأموات. (نوس، 2009، ص 270)

وأؤمن بالروح القدس، والكنيسة المقدسة، ومغفرة الخطايا، **وانبعاث الجسد** والتنقيحات والتحسينات اللاحقة لشهادة الإيمان هذه، أرهقت دلالتها بوصفها مجملاً للعقيدة القويمة والرسولية. (آل عمر، 2007م، ص ص 35-38).

وكانت النتيجة الأخرى لمحاولة الكنيسة لتحديد الموروث الرسولي هي السعي إلى تثبيت الاسفار الصحيحة للكتاب المقدس، وعند نهاية القرن الثاني كانت الأسفار المعترف بها من (العهد الجديد) موافقاً عليها بالفعل، وكانت الكتب المشكوك في صحتها أو صحة نسبتها، مستبعدة من اللائحة الرسمية للاسفار، وكانت الكنيسة بهذه الإجراءات تضع نفسها في موقف تحافظ فيه على هيكلها وعقيدتها من الانحلال إلى طوائف متعددة، وأن تجرفها كل ريح مذهبية وبذلك يحكم عليها بالزوال السريع. (نوس، 2009، ص 270)

5.3 الجدل الأريوسي ونتائجه:

عندما اعترفت الامبراطورية الرومانية بالمسيحية، إبان حكم الامبراطور قسطنطين الأول(*)، ازدادت المسيحية قوة وانتشاراً، كما ارتفع عدد الكنائس واتخذ يوم الأحد المسيحي عطلة رسمية في الامبراطورية، وتدرجت الأحداث لصالح المسيحية وعقيدتها، فكانت الصياغة اللاهوتية(*) للعقيدة الكاثوليكية تسير إلى الأمام باطراد، وبدأ كبار رجال الدين المسيحي وشيوخه بإيضاح العقائد التي لا تزال في أول عهده، حول العلاقة بين الأب والابن والروح القدس، مع محاولتهم لتوطيد سيطرة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة، ولكن انعدام الاتفاق بينهم – علماء وشيوخ المسيحية – قد أعطى مجالاً للاختلافات الحادة.(عاشور، 1986، ص ص 39-40)

وهو ما حدث فعلاً، حيث اختلف شيخ علامة من شيوخ كنيسة الإسكندرية يدعى آريوس، مع مطرانه (أي رئيس الأساقفة) في نفس الكنيسة وهو إثناسيوس، حول مسألة: هل كان المسيح كائناً محدوداً أم أزلياً؟ واعتقد آريوس أن المسيح، هو كائن مخلوق، وخُلق كالمخلوقات الأخرى من العدم، وهكذا قد لا يكون أزلياً، ولا يكون بذلك من جوهر الله ذاته، وكانت حجته هي أن الابن كانت له بداية، في حين أن الله واحد، أزلي، وكان من دون بداية. (عاشور، 1986م، ص ص 40-41)

(*) كتبت العبارات المهمة باللون الغامق؛ لأنها كانت السبب الرئيسي في الاختلاف والجدل بين المسيحيين.

(*) قسطنطين الأول: هو من أعظم الأباطرة الرومان ويعرف بالعظيم أيضاً، وعهده حد فاصل بين الإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية، وهو أول إمبراطور بيزنطي، وباني القسطنطينية التي سميت باسمه بعد موته، وتولى الحكم بين عامي 306–337، وكان اعترافه بالمسيحية أعظم أعماله وكان ذلك في مرسوم ميلانو 313م، وبسبب هذه الأعمال كلها اعتبر عهده حد فاصل بين العصور القديمة والوسطى في أوروبا. (الغوج، 2009م، ص19–31).

(*) اللاهوت Theology: وهي دراسات دينية تُعنى بالذات الإلهية، ويقابلها في دراسة اللغة العربية (علم الكلام). (الغوج، 2009م، ص29)

تجادل إثناسيوس مع آريوس بحدة، جازماً بأن الابن أزلي وغير مخلوق، ومن جوهر شبيهٍ بجوهر الله، وانتشر الجدال في كل الأنحاء (نوس، 2009، ص273؛ الشيخ، 1990م، ص62)، ولأجل ذلك الأمر قام الامبراطور قسطنطين الأول بدعوة المجمع العام للكنائس للاجتماع لحسم المسألة نهائياً في صيف عام 325م، والتقى نحو ثلاثمائة أسقف مفوض، وجلهم من الشرق في مدينة نيقيا بآسيا الصغرى – أنقرة في أيامنا –، وخلع آريوس من منصبه، وأحدثوا الصيغة الشهيرة لشهادة الإيمان النيقية (الكاثوليكية) (نوس، 2009، ص 274)، وهي تنص على الآتي(*):

"نؤمن بالله الواحد، الأب كلي القدرة، خالق كل الأشياء، المنظورة وغير المنظورة، وبرب واحد هو يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، بوصفه ابنه الوحيد، أي **من جوهر الأب**، إله من إله، ونور من نور، إله حقيقي من إله حقيقي، **مولود وليس مخلوق، ومن نفس جوهر الأب**، الرب الذي من خلاله خلقت كل الأشياء في السماء والأرض، ومن أجلنا ومن أجل خَلاَصِنَا نزل وجُعل جسداً، وصار إنساناً، وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وهو قادم ليحكم الأحياء والأموات، ونحن نؤمن بالروح القدس"(عاشور، 1986م، ص 43).

ويرتبط بشهادة الإيمان هذه ملحق يُعلن اللعنات على الذين يقولون إنه: كان هناك حين من الزمن لم يكن الابن موجوداً فيه، أو، يجزمون بأن: ابن الله ذو وجود أو جوهر مختلف، أو أنه مخلوق. ولعل شهادة الإيمان هذه تم تبنيها بضغط من الإمبراطور قسطنطين؛ لأنه أراد إحلال الاتفاق والمحافظة على وحدة الإمبراطورية، وما يفسر ذلك أنها لم تحل المصاعب المذهبية على الفور، ولم توفر الاتفاق، حيث أن العبارات التي وردت في شهادة الإيمان هذه باللون المغاير، نُدِّدَ بها وعارضها الكثيرون بحرارة وأبطلتها مجالس لاحقة فعلياً، ولكن الدفاع الحماسي الصبور الذي قدمه إثناسيوس، في كتيب بعد كتيب، قد تغلب في آخر الأمر على المعارضة وأفضى إلى القبول النهائي بها، وحتى ذلك الحين كان لابد من مرور عدة أجيال قبل أن تصبح هذه الشهادة معصومة من الخطأ في نظر الكنيسة الكاثوليكية، والتي كانت رمزاً لمذهبها العالمي. (نوس، 2009، ص ص 274-275).

6.3 تبلور العقيدة الكاثوليكية (المذهب الكاثوليكي):

لم تنتهِ المجادلات والانقسامات الدينية اللاهوتية بعقد مجمع نيقية وما نتج عنه، بل احتدم الصراع ثانية حول لاهوت السيد المسيح وشخصه، وكان ذلك عندما جزم أبوليناريس، وهو مطران في سورية، في رد فعل على رأي أحد زملائه، أن السيد المسيح لا يمكن أن يكون إنساناً كاملاً متحداً بالله الكامل؛ لأنه لن يكون عندئذ ابن واحد لله بل ابنان، ابن بالطبيعة وابن بالتبني، والأول بإرادة إلهية، والثاني بإرادة إنسانية، وكان مثل هذا الأمر يبدو غير قابل للتصور، ومقيتاً من الوجهة الدينية، ولذلك، ففي المسيح جسم بشري مع مبدئه الباعث للحياة، "فكانت الروح الحيوانية هي العبارة الفعلية" وكان يقيم فيه اللوغوس(*)، بوصفه مبدأ التفكير، وكان الاتحاد، قياساً على وحدة الشخصية البشرية، وهو من الكمال بحيث كان جسدُ المسيح جسدَ الله، وفي قلْب هذا الجسد صَلَبَ اليهود الله. (الغوج، 2009، ص ص 29-33).

وردَّ خصومه من مدرسة أنطاكية عليه وأشاروا إلى أن المسيح في ظل هذا التصور لم يكن إنساناً حقاً؛ لأن بشريته كانت ناقصة، وقالوا أيضاً: إن في المسيح إنسان كامل لابد أن يكون إلهياً، وقد كانت ليسوع عبر التاريخ طبيعة بشرية كاملة، وُهبت العقل والإرادة الحرة ككل البشر الآخرين، ويقيم اللوغوس فيه كما يقيم في معبد، في وحدة معنوية تامة، بحيث كان اللوغوس ويسوع يريدان الأمور ذاتها. (نوس، 2009، ص 276).

هذا وآثار نسطوربوس – وهو أبرزهم – رهبان القسطنطينية عندما أصبح مطراناً عليهم، حين قدّم موعظة ضد دعوة (مريم العذراء) (أم الله) معلناً أنها لم تحبل بإله، بل حبلت (بإنسان هو أداة الله)، وعندئذ دخل سيريل (مطران الإسكندرية) الجدال من الجانب الآخر، وأقر أن بشرية المسيح تمتلك الجسد، والنفس العاقلة، والروح، ولكنها كانت من دون شخصية، فاللوغوس هو شخصيتها. (آل عمر، 2007م، ص ص 35-40).

كان سيريل يرمي إلى أن: الطبيعة البشرية ليسوع قد تمثلتها شخصية إلهية كلياً، ولكن المطارنة شعروا أن ذلك يفقد الإنسانية طبيعتها، وكانت الحقيقة هي أن الإنسانية والألوهية كانتا في حالة اقتران فقط، حيث اتحدتا في الإرادة من دون أن تتسرب إحداهما إلى الأخرى. (نوس، 2009، ص 277).

ولقد اتهم كل طرف الآخر وأنكر أقواله، وفي سنة 431م تمت الدعوة إلى مجمع عام وجد نفسه منخرطاً بصورة غير صحيحة في مكائد سياسية وضغوط امبراطورية، وخُلع نسطوريوس من منصبه ونفي إلى الشام، ولكن المسائل ظلت غير محسومة، حتى انعقد مجمع عام في سنة 451م في خلقيدونيا في آسيا الصغرى، وصاغ تعريفاً لعلاقة طبيعتي المسيح، وصار المذهب الكاثوليكي النظامي (نوس، 2009، ص 277)، وهو يقول:

(*) كتبت الكلمات المهمة وذات الجدال المستمر باللون الغامق.

(*) اللوغوس: هو اللوغوس الإغريقي أي أنه كلمة ذات أصول إغريقية – يونانية –، وتعني جوهر العقل المنطقي أو النفس الناطقة، وهو الخطاب المكتوب أو البحث في الوجود الإلهي، وهي جوهر العقل. (نوس، 2009م، ص166)

لذلك نعترف، ونحن نتبع الآباء المقدسين، وكلنا يعلم بالإجماع أن الابن الواحد ذاته، ربنا يسوع المسيح، هو في وقت واحد كامل في الألوهة وكامل في البشـرية، إله حقيقي وإنسـان حقيقي، وعلاوة، ذو روح عاقلة وجسـد، وهو بالنظر إلى إلوهيته يشـترك مع الأب في ماهية واحدة (نوس، 2009، ص 277)، فهو مثلنا في كل النواحي فيما عدا الخطيئة، وفيما يتعلق بألوهته فهو مولود الأب قبل العصـور، ومع ذلك ففيما يتعلق ببشـريته – بالنظر إلينا وإلى خلاصـنا – هو مولود في هذه الأيام الأخيرة من مريم العذراء، أم الله، والمســيح الواحد ذاته، ابنٌ، وربٌ، مولود وحيد ومُعلن في طبيعتين من دون خلط، ومن دون تبدل، ومن دون انقسام، ومن دون انفصال، واختلاف الطبيعتين؛ لأنه لا يمكن القضاء عليه بسبب الاتحاد، فإن خصائص كل طبيعة تُحفظ وتلتقي في شخص واحد واقنوم واحد – لا كأنه انفصل أو انقسم إلى شخصين، بل هو الابن الواحد ذاته والله المولود الوحيد واللوغوس، ربنا يسوع المسيح، حتى كما علّمنا الأنبياء من القديم وربنا يسوع المسيح فيما يتعلّق به، وما أورثنا الآباء من شهادة الإيمان. (أل عمر، 2007م، ص42).

3.7 الأسرار السبعة المقدسة(*):

تدور العقيدة المسيحية حول الخطيئة الأولى، وهي خطيئة آدم عندما عصى ربه فعوقب بالسقوط إلى الأرض، وتعرض لغضب الله، فعوقب بالأمراض والموت ثم شمل الغضب ذريته الإنسان، وهكذا أصبحت خطيئة آدم متوارثة في نسله، وبذلك كانت مهمة كافة الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل المسيح الإعداد لإنقاذ البشرية من الخطيئة والتمهيد لظهور المسيح. تعتمد الكنيسة في عملية الإنقاذ على رموز دينية يشار لها بالأسرار السبعة، وسميت بالأسرار لأنها صلات الوصل الخفية التي توطد الرابطة الروحية بين المسيح وأتباعه، هذا ولقد أخذت الأسرار السبعة شكلها النهائي في العالم الغربي في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك عندما عالجها بطرس لمبارد – أحد أساتذة اللاهوت في باريس ت 1164م – في كتابه (الآراء)، وعن طريق ممارسة تلك الأسرار تحتضن الكنيسة الفرد المسيحي من المهد إلى اللحد وجعلت هذه الأسرار سبعاً حسبما حددها المسيح نفسه، ولأن حياة الإنسان الروحية كحياته الجسدية تتطلب هذا العدد، فالمتطلبات الجسدية هي: الولادة، والنمو، والغذاء، والشفاء، والعدالة، والتناسل، والمساعدة عند الموت، أما المتطلبات الروحية السبعة المتناظرة مع المتطلبات الجسدية والتي يشار لها بالأسرار السبعة فهي(اليوسف، 1967م، ص240):

1- التعميد:

وهو السر الذي قصد به إزالة الخطيئة الأولى ومنح الولادة الروحية الثانية، ويتم ذلك عن طريق الماء عادة بالرش أو الغسل أو التغطيس، وهناك نوع آخر من المعمودية ألا وهو معمودية الدم، وهي تعني: أن يسفك المؤمن دمه في سبيل الدين.

2- القربان المقدس:

ويشار إليه أيضاً بسر التناول أو نظرية الحلول، وهو عبارة عن تحول الخبز والنبيذ في جسم المتناول لهما في المراسيم الدينية إلى لحم المسيح ودمه (اليوسف، 1967م، ص240)، وهذا السر يساعد على حضور المسيح بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر، ويحتفل بهذا السر لمغفرة ذنوب الأحياء والأموات، وفي حالات القحط والوباء.

3- التثبيت:

وهو السر الذي يُرسخ الإيمان ويمنح الفرد المقدرة للدفاع عن دينه، ويُمارس عن طريق مسح الجسم بالزيت.

4- التوبة:

وهي غفران الخطايا التي قد تكتب بعد التعميد، وتمارس التوبة عن طريق الاعتراف أمام الكاهن وإظهار الندم، وقد يرافقه التصدق إلى الفقراء، أو زيارة قبور الأولياء، أو الصوم.

5- مسحة المرضى:

وهي عبارة عن دهن حواس المريض بالزيت من أجل الشفاء، أو مساعدته على قابلية تحمل ألام النزاع.

6- سر الكهنوت:

وهو عبارة عن السلطة الروحية التي يمارسها الكاهن أثناء قيامه بواجباته الدينية.

7- سر الأمومة:

ويتم ذلك بإجراءات الزواج الدينية برباط الزواج المقدس، وهو اعتماد رسمي لزواج المسيحيين.

(*) السر المقدس أو الأسرار المقدسة (Sacraments): هي ترجع إلى الكلمة اللاتينية ساكرامينوم (sacramentum) وهي مصطلح غامض في جذوره، وكانت تستخدم في القانون الروماني لتصف حالة قانونية (أو تفويض قانوني)، وبدأت الكنيسة في استخدام هذا المصطلح مبكراً منذ القرن الثالث الميلادي بعد دمجه مع الأهداف الدينية الروحية الغامضة. (الغوج، 2009، ص31-34)

4. نتائج البحث:

- نشأت الكاثوليكية كمذهب مسيحي من رحم صراعات دينية وفكرية داخل الكنيسة الأولى، ولم تكن انطلاقة تلقائية أو موحدة من بداية ظهور المسيحية.
- مصطلح "كاثوليكي "لا يعني الانتماء إلى طائفة بعينها فحسب، بل يعكس فكرة الشمول والكونية، وقد استُخدم أول مرة في القرن الثاني الميلادي لتمييز الكنيسة الجامعة عن الجماعات المنفصلة.
- ساهم الفكر الفلسفي اليوناني، خاصة الأفلاطوني والرواقي، في صياغة المفاهيم اللاهوتية للكاثوليكية، مما جعل العقيدة الكاثوليكية مزيجًا بين الدين والفلسفة.
- أثرت الهرطقات المبكرة مثل الغنوصية والمرقيونية في بلورة العقيدة الكاثوليكية كرد فعل مضاد، مما يدل على أن الهوية الكاثوليكية تشكلت في سياق من الجدل والرفض المتبادل.
- كان للكنيسة الكاثوليكية دورٌ حاسمٌ في توحيد النصوص المقدسة، من خلال الاعتراف بمجموعة محددة من الأناجيل والأسفار، واستبعاد غيرها بوصفها غير قانونية.
- اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية على المجامع الكنسية الكبرى، مثل مجمع نيقية وخلقيدونية، لتثبيت العقيدة وتحديد طبيعة المسيح والثالوث.
- شهادة الإيمان النيقية كانت علامة فاصلة في التاريخ الكاثوليكي، حيث رسّخت ألوهية المسيح ورفضت أي تصور يقلل من طبيعته الإلهية.
- السلطة الدينية المركزية في الكاثوليكية تمثلت في البابوية، والتي اعتُبرت الوريث الشرعي لبطرس الحواري، مؤسس كنيسة روما.
- الأسرار السبعة المقدسة تشكل البنية التطبيقية للعقيدة الكاثوليكية، وتمتد لتغطي الحياة الروحية للمؤمن من الولادة حتى الوفاة.
- شهدت الكاثوليكية تطورًا تدريجيًا لعقيدتها من خلال التفاعل المستمر بين الكنيسة والسلطة السياسية، خصوصًا في ظل الإمبراطورية الرومانية.
- تقدمت كنيسة روما على الكنائس الأخرى بفضل مركزيتها السياسية والدينية، وتاريخها المرتبط ببطرس، ما منحها الهيمنة على العالم المسيحي الغربي.
- ساهمت النزاعات اللاهوتية في إيضاح طبيعة المسيح (إله كامل وإنسان كامل) وهي الفكرة التي ثبتها مجمع خلقيدونية سنة 451م.
- ظلت بعض الطوائف الأخرى تدّعي الكاثوليكية (كالأرثوذكسية والبروتستانتية) رغم خلافاتها العقائدية مع روما، ما يدل على عمومية المفهوم في بداياته.
- لعبت الكنيسة الكاثوليكية دورًا رئيسيًا في حفظ وحدة المسيحية الغربية، رغم الانقسامات والانشقاقات، بفضل بنيتها التنظيمية ومواقفها اللاهوتية الحاسمة.
- الكاثوليكية اليوم هي أكبر طائفة مسيحية، ما يعكس نجاحها في ترسيخ عقيدتها ومؤسساتها عبر قرون طويلة من التطور والتحديات.

5. قائمة المصادر والمراجع

1.5 المصادر السماوية

- القرآن الكريم.

2.5 المصادر الأدبية

- ابن كثير ت 774هـ . (2003م)، الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن أخواء بن كثير القرشي الدمشقي، الملقب بأبي الفداء، ، تهذيب قصص الأنبياء، تحقيق الشيخ عرفان سليم حسّونة، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

3.5 المراجع العربية

- أحمد علي عجيبة. (2004م)، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- إسماعيل نوري الربيعي. (2002م) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار الحامد، بنغازي.
- السيد الباز العريني. (1968م)، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت.
- جوزيف نسيم يوسف. (2005م)، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- حسين الشيخ، الرومان. (1979م)، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- سعيد عبدالفتاح عاشور. (1982م)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت.
- سعيد عبدالفتاح عاشور. (1986م)، أوروبا العصور الوسطى، ج2، النهضات والحضارة والنظم، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- عبدالقادر أحمد اليوسف. (1967م)، العصور الوسطى الأوروبية، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت.
- فوزي محمد حميد. (1999م)، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، الطبعة الثانية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس.
- محمود سعيد عمران. (1986م)، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت.
- محمود سعيد عمران.(1999م) ، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت.
- محمد محمد موسى الشيخ. (1990م)، أوروبا في العصور الوسطى، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- محمد مصطفى الغوج. (2009م)، أوروبا في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الشعب، مصراتة.
- محمد مصطفى الغوج. (2009م)، الإمبراطورية البيزنطية من النشأة حتى الانهيار، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الشعب، مصراتة.
- محمد بن علي بن محمد آل عمر.(2007م)، الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى.

4.5 المراجع الأوروبية المعربة

- ادواربروي، وآخرون. (1965م)، تاريخ الحضارات العام، القرون الوسطى، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد م داغر، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت.
- جورج جوردرن كولتون. (1983م)، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة وتعليق، جوزيف نسيم يوسف، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، الإسكندرية.
- جون بي نوس، موسوعة تأريخ الأديان، الكتاب الخامس، المسيحية، تحرير فراس السواح، ترجمة محمود منقذ الهاشمي. (2009م)، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق.
- موريس بيشوب. (2005م)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، الطبعة الأولى، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- ول وايريل ديورانت. (1988م)، قصة الحضارة، الحضارة الرومانية، قيصر والمسيح، المجلد التاسع، ترجمة محمد بدران، د.ط، منشورات دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

Catholicism: Origins and Doctrine

Waleid Abdul Sayed Srar

Faculty of Arts - Misurata University

w.srar@art.misuratau.edu.ly

Article information	Abstract
Key words (Catholicism, Church Councils, Christian Doctrine, Heresies, Seven Sacraments, Council of Nicaea, Divinity of Christ, RomanChurch, Theological History, Western Religious Thought) Received 22 03 2025, Accepted 30 03 2025, Available online 02 04 2025	This research presents a comprehensive study of the Catholic doctrine as one of the oldest and most influential Christian denominations in the religious and political history of Christianity and the Western world. Catholicism emerged from the early roots of Christianity in Palestine and gradually took shape over the first centuries through a complex interaction between religious texts, Greek philosophical thought, and political circumstances within the Roman Empire. In its early chapters, the research discusses the origin of the term *"Catholic"*, meaning "universal" or "general," and explains how the Church of Rome adopted this designation to distinguish itself from other Christian groups, eventually establishing itself as the official representative of the true Christian faith. The study also examines the intellectual and theological phases that contributed to the formation of Catholic doctrine by responding to early heresies such as Gnosticism, Marcionism, and Arianism—ideas that emerged during the first three centuries and greatly influenced perceptions of Christ and His nature. The research further highlights the role of major church councils, such as the Council of Nicaea (325 AD) and the Council of Chalcedon (451 AD), in formulating essential theological concepts, including the divinity of Christ, the Nicene Creed, and the doctrine of the dual nature of Christ—both divine and human. It concludes by addressing the Seven Sacraments, which form a core element of Catholic belief, representing stages of spiritual connection between the believer and Christ from birth to death. The study demonstrates that Catholicism did not emerge abruptly, but was rather the outcome of doctrinal evolution, cultural and intellectual interactions, and religious-political conflicts, making it a rich and complex institutional religious experience.